

العرب في السفير

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 5 آذار 2015 – الموافق 14 جمادى الأولى 1436 هـ – العدد 13013

هُنْ!

جَسَدُ العنف المزداد عصفاً بمنطقتنا صواب مقولة لطلالاً رددتها الحركات النسوية: الحروب وبإل على الجميع، إلا أن النساء يقفن في مقدمة ضحاياها. لا يقال هذا تأكيداً لتفوق،» ما ضمن تراتبية مأساوية، ولا تهويلاً أو إمعاناً في الشكوى. هو الواقع والسلام. وهذه حال تأتي لتضاف الى وضع يائس أصلاً يخصهن (اجتماعي واقتصادي وسياسي وقانوني...)، على الرغم من التقدم المسجل في العديد من المجالات، وخاصة في تحصيل التعليم وفي الخروج للعمل. لا يكفي! هذا أولاً، والتقدم الحقيقي معرض فعلاً للانتكاس.

هذا النقص وذاك التهديد هو ما تناولته كاتباتنا هنا، وهُنْ باحثات

وأستاذات وصحافيات.. متعدّدات الانتماءات الفكرية ومنتشّرات على الرقعة العربية من أقصاها إلى أقصاها. وهُنْ أيضاً فنانات مبدعات، رسامات ومصورات فوتوغرافيات وشاعرات ومغنيات.. مختلفات الأعمار والبيول والمدارس، ومنتشّرات، هُنْ أيضاً، على طول بلداننا وعرضها. مختلفات التجارب الخاصة والعامة، ولكنهن مجتمعات على التأكيد على ذواتهن بإطلاق الصفة: كإنسان. وليس أقلّ، مليات جانبا بأي تبرير أو تحفظ.

ولأنهن يعرفن أن ثمن التحرر (دوماً) باهظ، فهن يدفعنه في الخيارات التي يتبنين، كما يتطلبن من أنفسهن الأفضل فيفرضن

15 | 1

لمناسبة يوم المرأة العالمي 8 آذار/ مارس، عدد خاص كتّبه وترسمه النساء: «عثرات على طريق التكيين»، و«الأشكال المختلفة من هدر الجسد». الحال في مصر وسوريا ولكنها كذلك تنطبق على سواهما.

الإقرار بهن. ولكنهن يناهضن فكرة أنهن «استثناء»، وهو ما يقف بوجه موقف شائع قد يعترف بجداره بعضهن أو حتى يتفوقهن، على أساس الإبقاء على سائر النساء في مكانة أدنى. هذا عدد من «السفير العربي» صاغته نساء، من ألفه الى يائه. وقد اتخذنا من اليوم العاللي للمرأة في 8 آذار/ مارس ذريعة لهذا التمرين. فاضت النصوص فاضطررنا إلى وقف استقبال المساهمات. وضاق الورق فأتممنا النشر على موقعنا الإلكتروني.

هُنْ يتحدثن هنا عن أوضاع وهومو قريباتهن، ولكنهن أيضا يتناولن شؤون المجتمع عموماً كما يرينها. ويخرج من كل هذا صوت ورؤية

المرأة المفردة

بعد الإعلان عن حكومة الحبيب الصيد في الثاني

من شباط الماضي، المنفحة على إسلاميي «حركة النهضة»، وجهت سناء فتح الله غنيمة، وهي عضو في حزب «نداء تونس» وسيدة أعمال ورئيسة جمعية «المرأة والريادة، الليبرالية، رسالة إلى الباجي قايد السبسي، نشرها موقع «بزنس نيوز» الإلكتروني ذو التوجه الليبرالي أيضاً. في الرسالة، سجلت غنيمة اعتراضها على التحالف بين الصيد والإسلاميين، رابوية قصة «الخيانة»، و«خيبة الأمل العميقة». في معرض رسالتها، استحضرت سناء غنيمة وصاية عدد من النساء الشهيرات في تاريخ تونس: الملكة ديدون بانبة قرطاج، كاهنة وهي الملكة والمحاربة البربرية، أروى القيروانية زوجة الخليفة أبي جعفر المنصور التي رفضت تعدد الزوجات وقيدت الخليفة بذلك في ما سُمي بـ«صداق القيروان». (اشترطت «ألا يتزوج غيرها وألا يتخذ ملكات اليمين معها» وألا فإن طلاقها بيدها على عادة أهل القيروان بما يعرف حتى اليوم بالصداق القيرواني). وذكّلت غنيمة رسالتها بتوقيع «المرأة التونسية».

«المرأة التونسية»

وبغض النظر عن موقف هذا المرأة التي تمثل البورجوازية الليبرالية شديدة العداء للإسلاميين، فما أثار فضولي هو التوقيع الذي حملته رسالتها. وغالباً ما يتكرر في الصحف التونسية استخدام عبارة «المرأة التونسية»، بصيغة المفرد للدلالة على شيء ساحول هنا سير غوره.

بداية، «المرأة التونسية» هي صيغة توكيد. وفي رسالة سناء فتح الله غنيمة تتجسد صورة «المرأة التونسية» في كونها مكرمة، مناضلة، ومعادية لـ «النهضة». ولكنها أيضاً، لو تتبعنا املة النساء الواردة أسماؤهن في رسالتها، وشجرة نسبهن، فهي أرسنقراطية وذات النفوذ. وهو بالطبع استخدام لعبارة ما زالت تعبر حتى اليوم عن مشاعر التفاخر الطبقي. وباختصار، تنتهي «المرأة التونسية» الى البورجوازية، وهي هنا مفردة، وتطابق فكرة معينة عن المرأة المثقفة، المتحررة، وصاحبة النفوذ. وهي اليوم وبيدها، صورة متلازمة مع قانون الأحوال الشخصية. فقد الشخصوس الجديدة المستدعاة من الحفبة القديمة ومن التاريخ الحديث، فمرسوم الباي في 13 آب 1956 صورة متوافق عليها للمرأة التونسية. ثم كرس بورقينة ذاك التاريخ كـ «يوم المرأة التونسية». وبورقينة هو مهندس القانون الذي، إذا ما تمت معايينته عن كثب، نرى فيه تطبيقاً حقيقياً لأفكار إصلاحيي القرن التاسع عشر الكبار حول المسألة النسوية. ولكن هذا

إرفعوا التاج..

فلأكن مثلاً قطعة ملابس، ولنقل مثلاً بأنّي عباءةٌ سوداء لا تفاصيل فيها ولا ألوان. هكذا بدأت أتخلّل بلا رسم أو اسم، لا معالم واضحة. قد يَصْغِي من أكون معه

وقد يخلط بيني وبين مِثَل من النسخ التي تنشي في المكان نفسه.

من بعدها تحوّلَتْ زادوا على أطرافي تفاصيل، رصعوني بحجارة بريقة حتى صرت أصنع تشكيلاً هنا وأزيد خيطاً هناك. ازدادت اختفاً، وقررت أن أجرب تغيير الألوان، فتحت الأسود ليصبح دخائناً. فقلت، لنجرب الرصاصي والرمادي والبني. حياتي كرحلة العبادة، بدايةً كانت قطعة قماش جامدة تمتد من البيت خارجاً إلى القبر، أمّا اليوم فتفتّحُ طريقي لتصل إلى المحالِّ والأسواق والشركات. عرفني العالم بالكائن الوحيد الذي لا يسمح له بقيادة السيارة، والنساء في بلاد ما زلنَّ يحاولنَّ الركوب خلف القفود، من دون جدوى. فحجج مثل الملكة والأميرة التي «تُخدَم ولا تخدم» جاهزة، والحبس هو جزء من تجاَول. لُجِن العذلولُ اشتهرت بمقاطع فيديو توثقُ فيها آراءها وهي في بلاد الابتعاث.. حاولت العذلول أن تعبر الحدود الإماراتية السعودية في تشرين الثاني الماضي وهي تقود سيارتها، فأوقفت وحُيِست لأكثر من شهر وأطلق سراحها بعد تعميدها بعدم القيادة في ربوع المملكة. لكن قيادة السيارة ليست إل جزءاً بسيطاً من جبل الجليل الطافي في عمق الصحراء.

أنا أكبر القاصرات في العالم، قاصر مدى الحياة، منذ ولدتني أكون أينة فلان أو أخت فلان. أكبر لأصبح زوجة فلان، وأكبر أكثر فأصبح أمّاً لفلان. لم أكن يوماً سوى ظل لجسد آخر، اسمي يخفي في الزوايا، يهضم به، لعل معرفته تُعدّ نوعاً من أنواع الضحية. إذن ولي الأمر شرط أزلي للسفر والتنقل والتعلم والنقاش وإجراء العقود الخاصة والحكومية وإستصدار وثائق العوية وحتى العلاج بالستشفى. وسمر البدوي نالت جائزة أشجع النساء في العالم لتحديها قانون

«أوجاع نسا»، قصص تُروى في عربية السيدات بمترو الأنفاق في القاهرة، وأما أساور مريم الفلسطينية فمن ذهب. وشريط مصور يحكي عن الاعتداء الجنسي على شابة؛ ليس اغتصاباً!

شُرْذمة العراق تهدر حقوق النساء، وهجاء «الأم الخالية، ونصوص عن «العمل النقابي في تونس على مفرق طرق»، و«وضع النساء في العشوائيات»، و«العنف المجتمعي ولوم الضحية»، و«تونس العطشى»، و«الإجهاض في المغرب».

(وأصوات ورؤى) لم يعد من الممكن حبسها. تتعدد أوجه المطالب والمطالبات التي تخص النساء والتي ما زالت للإنجاز، ولكنها كلها ترسو على الحق في المساواة التامة: قانوناً وفي التطبيق وفي النظرة وفي العقول وداخل النفوس، من دون التنازل عن شيء، ومن دون اللجوء للتشبيه بالرجال أو تقليدهم ليفزن بالحق. بل يبقين كما يشتهين. ما يعني الانتباه من النظام الأبوي برمته: ولما لا، طالما أساسه اللادي زال أو هو الى زوال.

نهلة الشهاب

النموذج الباهت لـ «النهضة النسائية». هؤلاء النساء خلّقن أسئلة جديدة، وأوجدن تحديات وأنساباً أخرى، بالرجوع الى النساء العربيات اللواتي أفصحن عن عالم النساء والأسئلة التي تشغلهن، وليس أقلها موضوع الجسد والملكية التي تمارسن عليه من قبل مجتمع يبقى بشكل أساسي، وعلى الرغم من كل الحقوق المكتسبة، أبويًا/ بطريركيًا. جسد عار وجسد محجوب.. المهم هو امتلاك النساء لسلطة القرار على مصائر أجسادهن، والتأكيد على الفردة التي تناقض تماماً مفهوم المفرد ك مفهوم مطلق أو شامل.

هذا ما أرادت قوله أمينة، الناشطة التونسية في «فمين»، عندما كتبت على صدرها العاري عبارة «جسدي ملك لي، وليس شرفٌ لأحد». الذهاب إلى ما هو أبعد من النضالات من أجل «المرأة» يعني الانخراط في تنوع الأوضاع في ظل شرط مشترك. وهذا تأكيد على جذرية الفعل، حتى لو كان فردياً، وإنما مع إعلانه في إطار التضامن الجماعي. فالنساء التونسيات محكومات بمجتمع يعتبر رجالة (وليس فحسب «الرجل» بالمعنى الرمزي) أجسادهن ساحة قتال من أجل شرفهم. وهذا ما كانت تقوله نظيرة زين الدين في العام 1928، وإن في سياق مختلف تماماً، عن حرية المرأة في الخروج من دون حجاب. أو هو ما عنته نضالات العابات النسويات في «الحلة الكبرى» في مصر من أجل حقوقهن.

تاريخ ما زال لم يكتب

لا تختلف النضالات النسوية في تونس عما هي عليه في باقي أنحاء العالم. أينما كان، يفرض نفسه النضال من أجل التمدد الذي يعيد النصاب لفرداتهن في معارك خبِضت وتحاض، مما يسهم في إسقاط تلك الرؤية للمرأة – الرمز، أياً كانت الحقوق والمميزات. فعلى الرغم من أن كلارا زيتكين كانت صاحبة اقتراح إعلان يوم للمرأة في المؤتمر الاشتراكي الدولي الأول للمرأة في العام 1910، إلا أن لينين هو الذي كرس هذا اليوم بمرسوم أرادته تكريماً للامبات الشفالات في كروشناتد ولهاومتشن القصف في العام 1921. وفي كلتا الحالتين، فإن الثامن من آذار هو مناسبة للنهوض بالحقوق، لا لتقديم الأضهار أو لاقتراح إنجازجلي الصحون بدلاً «منها» في ذلك اليوم... هذا التاريخ، في تونس كما خارجها، ما زال بحاجة لأن يكتب من خلال تعدد أصوات النساء.

ليلى دخلي

باحثة مختصة في التاريخ الاجتماعي، من تونس تعمل في «المركز الوطني للبحوث العلمية»، فرنسا. CNRS

الولاية المعمول به في أرجاء السعودية، هربت البدوي من منزل والدها الذي كان يتحكم بأموالها ويعفّها جسدياً إلى إحدى دور الرعاية التي تستقبل حالات الفتيات العربيات من قسوة الأهل أو النساء المعنّقات الباحثات عن مأوى. متّخذةً المجتمع الذي يرى في خروج المرء عن طاعة ولي أمره فعلاً مشيناً وعقوقاً يستلزم التأديب. جمعت حولها معاطفاً ساهم في ربحها القضية وبالإفراج عنها بعد سبعة أشهر حبس.

لم تقف سمر البدوي عند هذا الحد، بل تحولت إلى مدافعة عن حقوق الإنسان (أخوها رائف البدوي، محبوس بتهمة إنشاء موقع لحقوق الإنسان في المملكة، وزوجها وليد أبو الخير محامي ونشط حقوقي حكم عليه بالسجن لمدة 15 عاماً بتهمته إزدراء القضاء) وخاصةً حقوق المرأة، ورأت أن السبب الرئيسي لغياب أيّ حقوق للمرأة السعودية يكمن في عدم مطالبتها هي نفسها بحقوقها. فالعديد من النساء يجهلن حقوقهن التي يملكها لتجاوز ما يواجهنه من انتهاك. ولعل غياب قانون واضح للأحوال الشخصية في السعودية يجعلهن لا يعرفن ما لهنّ وما عليهنّ. جميع الأحكام تخضع لإجتهادات القاضي، فقد لا يرى الأخير ما يلزم العقاب لرجل ضرب زوجته حتى يتسبب بإغمائها. وقد اكتفى بإلزامه بحفظ أجزاء من القرآن أو في حين يرى قضاة آخرون في الولاية نوعاً من الخضوع المطلق غير المحدود، حيث لا رخصة.

في عهد الملك الراحل عبد الله بن عبد العزيز، تحسّن وضع النساء السعوديات، سمح لهنّ بالمشاركة في الانتخابات البلدية لأول مرة، وانتخبوا أعضاء في مجلس الشورى على الرغم من اشتراط الفصل بين الجنسين في المجلس. وكذلك فتحت أسواق العمل أبوابها لهنّ، بوصفن قوى هائلة ضخمة. تنهدت النسوة وأصبح البحث عن الفرص عنوان المرحلة. صارت الأسواق تعج بالنساء بعد أن كانت حكرًا على الرجال. ورويدا بدأت المرأة

«هل تعبتي، يا امرأ القيس، من السير في تلك الشوارع التي شغّها الغيب؟»

ما أثير عها في فنّ الإقتفاء، ما أنبه جدرانها في تصنّصت. كلما حاولت أن تعانق امرأة، يسألك حارس: هل استأذنت النساء؟»

كوشيتيرنو القدس / أدونيس

العربية لغة سحيقة، مثلها مثل البئر العميقة التي تعنيها كلمة هوية خلّافاً لهوية، بضم الهاء، وأصلها هو– الضمير الذي يوجدنا رغم الغياب. يقولون ماتت بعد أن هجر البشر النساؤون ضماثرها، فصارت جوفاء تصفر الريح في ثنائها. لكن مدنتا الخبراء تظل تحك اللغة بأظفارها كمن يفرك عملة صدئة، ثم تلمعها وتضعها بجيبنا تعويذة تجلب الحظ وتطرّد الشرور.

هي القدس هذا الصباح متوتّبة تركض بأهلها إلى أعالمهم، فاستقلّ الحافلة النامية لشركة «الوحدة» الفلسطينية للمواصلات من المحطة الحاذية للشقة التي أسكن. في الخط الواصل بين بيت لحم وباب العمود، الدخل الرئيس للبلدة القديمة في القدس. عند المحطة الحاذية لباب الخليل – الباب الذي يدغدغنا تاريخه إذ نتذكّر كلما جاثنيته كيف هدموا بعض الأجزاء الواصلة بينه وبين السور ليتسع لعربة القيصر الأثاني فيلهمم الثاني حين زار القدس العام 1898، فلا يدخلها راجلاً! تراض جمع جنديّات إسرائيليات وقد استوقفن حافلة تابعة للشركة نفسها لفحص الهويات والتأكد من ألا «متسللين» بين ركاب الحافلة: أي فلسطينيون أتوا إلى القدس من دون تصريح دخول إسرائيلي. «ليش كلهن نسوان؟» أفكر أول ما أفكر بهذا. أتعجب ملاحي التي ارتبكت لجرد أن تساءل عن ذلك، بيد أن السؤال قد قدّم ولا حيلة لي في صده.

الحواجز تطير وتحط على باب الخليل لتستوقف الحافلة التي نستقلها أسوة بسابقتها. حاجز طيار، لعبة اللغة مرة أخرى. الطيران بوجي بالحربة ويركب لها جناحين، فكيف تصوير الحواجز طيارة أيضاً؟ تطير وتحلق وتحط لتوقّفك وأنت في الطريق إلى القدس؟ يعودني الداء الأجلمل الذي سمعته في حياتي من مقدسي ستيّني قرأت له ورقة بالعبرية، اللغة التي لا يتقن. وهي تهد بيته بفعل ثلاثي عربي هو «هرس» لتصير «هراس» بالعبرية. كانت الورقة إخطار بهمدم بيته، ومع ذلك قال لي: «الله يوفقك يا عمي ويفرد جناحاتك». يهرس لغتهم باستعارة تعض القلب ولا تدميه.

أجلس على الكرسي الأول في الحافلة، خلف كرسيّ السائق بمحاذاة الممر. تصعد جنديتان، أحدهما داكنة البشرة من أصول أنثيوبية واسمها «يسرائلة» – مؤنث «يسرائيل» (أي إسرائيل). كيف أنفنا القوة ونسيما إناث الاستعمار؟ وقد «خلقتا لكم من أنفسكم أزواجاً» تدب الصوت برائلة «هويةةةةةةة» فيناولها كل منا هويته من دون تذمر رغم

يوم المرأة العالمي

عثرات على طريق التمكين

تتصهر قضايا المرأة في حنايا مجتمع كهل متهالك حتى التلاشي، ما يجعل معاودة الطرح ممكنة في كل وقت ما لم يعتم اليأس وينتصر، ربما يجعل بهذا التلاشي استغراق الأطروحات المتداولة في التصارع بين طرفين أحدهما يصعد بالمرأة لتتف ضداً للرجل ونداً، والآخر يهوي بها حيث الاستتار خلف الرجل طلباً للأمان كأقصى الغايات في مجتمع الغاب حيث القوة وحدها فصل الخطاب. لم تنجح كل الدعاوى المرسلة لتمكين المرأة من تخفيف وطأة الضغوط الاجتماعية التي تحاصرها في المجتمع المصري وتجمع في تكبيها، وهواة إشغال حطب الصراعات المجتمعية يتفننون في توسل جذور دينية لعادات اجتماعية مشوهة، فتعاد تسمية الأشياء، ليصير الخنوع حياة، وقبول الظلم عفواً، وترك الحق فضلاً ولعل هذا الطرح يعبر مجدداً عن بعض علامات الانتكاح في طريق واسع ممتد.

«الهلوية» تعاني

التنشئة الاجتماعية للمرأة كثيراً وبصفة عامة اختناقات الثقافة الاجتماعية الشائعة. تبدأ المعاناة منذ لحظة الميلاد الأولى حيث لا تزال تنياين وجهات استقبال خبر ميلاد البنت (خاصة في الأسر الفقيرة) بين الترحيب والامتناع، سواء كان مقنعاً أو صريحاً، واستسلاماً للقدّر واستشراقاً للجدوى. يبدأ الإقحام البالغ للفتاة في الأعمال المنزلية بدعوى تعويدها على حمل مسؤولية البيت للمستقبل، وبالتوازي تعويد أخوها الاستعلاء على الأعمال المنزلية كشأن نسائي يحت لا يليق بالذكور. من يستهويها مدح الأسرة أنها صارت «هلوية» تُستهلك مبكراً في مفاهيم زائفة تربط معنى الأنثى لديها - زوراً - ببقاعات الصابون والمنظفات. فما تلعمه مرة تعود لتزيدها ثانية، وكلما بالغت بالمزيد كلما ادخرت رصيداً بمهارتها لدى الأقارب والجيران لجذب الخطاب في المستقبل، كما تترسخ ثقفا بذاتها كأنثى ماهرة، بغض النظر عن تحقيقها أو عدمه في أي المجالات الحياتية الأخرى، بينما تتصدر «لا» كاجابة حاسمة لصد كل فكرة تُلجج بمس تابو التقاليد المقدس، والءات لا تنتهي. إحداها تمنع كلمة والأخرى تقيم صرخة وثالثة تحظر حركة. وهكذا تتعاظم المنوعات، حتى يصير بيت الأهل سجنًا لا انكساك منه إلا بالزواج، الذي قد لا تبحث من خلاله الفتاة عن شريك مناسب يقاسمها الحياة. إنما بالأحرى عن متنفس حيث مساحة أوسع من الحرية!

زي المرأة

تخضع المرأة لماكنة الأحكام المجتمعية الفورية، ويتدخل زي المرأة تحديداً لينال نصيباً

عن البلد وهدر الجسد

برغم أنه فجئنا بمصارعحتنا أن قبر العشاق ليس إلا مكاناً معتماً وبارداً، مليئاً بالحفر والتضاريس، إلا أننا كنا نزداد تعلقاً به وبدروسه. مدرس العلوم الطبيعية اليساري الذي كان يجرو أن يتحدث عن الجسد بعد صراع دموي بات يُشار إليه بعبارة محايدة: «أحداث الثمانينيات» في سوريا، لخبيرنا أنه ينبغي معرفة خارطة الجسد قبل خارطة البلد! وهل يتحرق المراهق إلى معرفة شيء أهم من الجسد وتجولاته؟ لكن سيهات أن ترتوي مما تشتهي معرفته، كان علينا أن نقطع طريقاً متعرجة شائكة، نمر فيها على كل مخلوقات الأرض من وحيد الخلية إلى الديناصور، أن نعبّر المجاري التنفسية للسسم ونحفظ عن غيب أجزاء

وأفراً من الأحكام الجاهزة، فكل لبسة ترتديها يقابلها حكم مباشر غالباً ما يتعلق بأخلاها وعفتها وربما يصل لاستشراف صحافتها، إذ يطرح زي المرأة باعتباره قضية كبرى تستدعي ضوابط عامة وأطرأ واضحة، وذلك بخلاف التمويل عليه كسبيل لاستبيان الكثير عن المرأة، على سبيل المثال، في مصر يمكن القول إن غطاء الشعر «الحجاب» من أبرز سمات زي المرأة، وقد صار الى حد بعيد مظهراً عاماً للنساء «المسلمات» في جميع الطبقات الاجتماعية، حتى أن من تتخلى عنه يمكن اعتبارها استنقاء. برغم الامتداد الديني للظاهرة، إلا أن انتشارها لا يشي بالامتثال للأمر الديني وضوابطه، بل هو أقرب إلى الاحتباس خلف قيد مجتمعي ضاغط، خاصة أنه في أغلب الحالات يخالف بصورة واضحة ومتكررة وأحياناً فجأة الضوابط الشرعية، له. الطريف أن الحكم المجتمعي تدرج من النظر للحجاب باعتباره لا يمثل شيئاً على الإطلاق، وهو ما كشفه الاختفاء التام له (فترة ما قبل السبعينيات)، إلى الانتشار التام أيضاً مع تطور الحكم المجتمعي ليصبح شرطاً لايتداء علاقة المرأة بربها وفقاً للسياق الاجتماعي الشائع، وبغض النظر عن الانفلات من الدين الذي يمكن رصد على عدة مستويات أخرى. أكثر من ذلك، فإن أنصار هذا الزي وخصومه يبالغون في تحميله المعاني، فهو شرط العفة والإيمان للمتأصرين، وسبب التخلف والتأخر للمناهضين. وهكذا فإن كل حركة وكل سكتة تصدر عن المرأة تُحمل بالمعاني الممكنة وغير الممكنة.

عمل المرأة

حتى الآن لم يُحسم بعد بصفة تامة الجدل المثار حول عمل المرأة، إذ لا يزال دائراً في بعض القطاعات الاجتماعية بين القبول والرفض. بخلاف الأسباب المعلنة للرفض والتي تربط عادة بين صون المرأة وتعزيزها من ناحية ومنعها عن العمل من ناحية أخرى، فإن أسباباً مسكوت عنها يحركها ظنٌ بأن التمكين المادي للمرأة قدأ يحفزها للمتمرّد على بعض الأنماط الحياتية التي تُذعن لها في حالة العوز والحاجة. كما تؤكد خبرات الواقع أن بعض النساء تُبقي على حياة مأساوية تنتهكها لأبعد الحدود تمسكاً بالماوى والميل، ذلك - طبعاً - بغض النظر عن استثناء البطالة وتردي أوضاع سوق العمل التي تُعقد الرجال قبل النساء. ومع ذلك فإن انتهاكات حصرية للمرأة تتوالى لتضال كثيرات ممن يلجأن إلى العمل. بل إن وظائف كاملة - خاصة في القطاع الاقتصادي غير الرسمي - لا يشغلها إلا النساء والعمة هي التدني المصاح لالأجر مقابل العمل الأمّن. تأتي الصيغة الشائعة «مطلوب أنسة للعمل» التي يستخدّمها بعض أصحاب الأعمال لإعلان عن وظيفة لتُكمل النغمة البائسة. فالطلب «أنسة» وليس شاباً ليسنى لصاحب العمل أن يجسّها حقها ويخفض أجرها، وكذلك «أنسة»

وليست متزوجة لضمان التفرج التام وعدم الانشغال بزوج أو أطفال. وماذا لو تزوجت الأنسة؟ حتماً ستذهب ليأتي بغيرها! هكذا بمنتهى الجراءة.. مطلوب عامل ليس له حياة خاصة ليتفرغ لعمل لا يعطيه إلا الفئات!

المرأة الريفية

برغم عموم المعاناة، إلا أن المرأة الريفية تمثل اختصاراً شاملاً للقصة كاملة. إذ غالباً ما يعترضها قسطن وافر من الانتهاكات، إن لم تذقها جميعاً. تمثل نسبة النساء اللاتي يعملن في القطاع الزراعي حوالي 42.8 في المئة من النساء، بينما حوالي 62.6 في المئة من النساء في الريف المصري يعملن في العمل الأسري غير مدفوع الأجر. وعلى الرغم من أنه ما بين 63 إلى 80 في المئة من النساء الريفيات في مصر يعانين من الأمية، إلا أن نسبة البطالة للمرأة انخفضت إلى 17.8 في المئة لمصلحة الريفية، مقابل 29.2 في المئة للمرأة الحضرية، وفقاً للإحصاءات الواردة عن المجلس القومي للمرأة في كتيب «المرأة الريفية في مصر» الصادر في طبعته الأولى (2013). وعلى الرغم من تعاطف الأدوار التي تؤديها المرأة الريفية عن نظيرتها الحضرية، إلا أن حقوقها تعاني معدلات انتهاك أعلى، خاصة مع تضييق مساحات الاختيار أمامها وانسداد آفاق الحرية والاستقلال الفكري. مثلاً، تتعرض المرأة الريفية غالباً لكوّان مختلفة من العنف الذي لا يتضمن بالضروة (وإن لا يمنع) الاعتداء عليها بالضرب، وإنما الأكثر شيوعاً هو الاعتداء على حقها في اختيار مساراتها الحياتية المحورية بما يوافق طموحها، على مستوى التعليم من ناحية وعلى مستوى الزواج من ناحية أخرى. فما زالت تغصب الفتاة الريفية على الزواج ممن تراه الأسرة مناسباً، و«العاقلة» - كما يذعون - هي من ترضخ سريعاً وترضى بما ارتضاه لها الأهل، ذلك بخلاف الاعتداء على حقوقها المادية، وخاصة حقها في الميراث وإن بصور مقنعة.

على كل ما تلاقيه المرأة من المجتمع إلا أنها كثيراً ما تسكن لجلايدها، إذ كثيراً ما يفشل دعاة حقوق المرأة في اجتذاب أنصار لأطروحاتهم من النساء فضلاً عن الرجال، حيث المبالغة في فكرة المساواة والتغافل عما تخلفه من تسطيح للقضية على نحو يصوره كمعاداة ومبارزة فجأة للرجل، ما يدفع بأغلب النساء أسرى الإرتواء بأفكار التيار التقليدي الأقرب لتلبية الحاجة الإنسانية الطبيعية للمرأة بالاستكانة إلى رجل لا يسلبها حقوقها وإنما يشاركها الدفاع عنها.

ويبقى أنه على هامش الاحتفال بيوم المرأة العالمي، نستدعي لحظة صدق تتساءل: بأي فكر وبأي عقل يستبجج مجتمع نفسه/ بعضه؟

بسمة فؤاد
باحثة من مصر

وسماء الإغا- العراق

العراقي، ستخطئ مرات ومرات بين توزّع السلطات الثلاث في الدستور وصلاحياتها وحدودها، وربما ترسب في المادة وتصبح مضرب مثل في الغباء وبلادة الذهن، لتكتشف أخيراً أن الدستور معطل بسبب الأحكام العرفية وحالة الطوارئ في البلاد.

علو الجسد

ستعلم أنه لأجل أن تعيش عليك أن تضحي بمعرفتك وتقيها مع إرادة السلطات، ثم عليك أن تتنازل عن روحك وتحترق المراوغة والتذلل، وشيئاً فشيئاً عليك أن تقتل ضميرك وتقايض به سلامة جسدك وربما سلامة أعناق أولادك وأسرتك. وفي كل لحظة عليك أن تكون مستعداً كي تمنح جسدك وقوداً لحروب لا تعرف فيها أعداءك. فتكرأن الذات مطلب أعلى عند كل الشموليات، ذاك التي يبدو نافلاً التعرف إليها ما دمت ستتركها! هكذا تتخلى عن نفسك بالتدريج، تدفع بعضها على أمل حماية بعضها الآخر، وتتوسع لنفسك فرصتك الذهبية في النجاة، ويسوغون لك بأن الإنسان يستطيع أن يعيش بلا ضمير وبلا روح ولا موقف، لكنه يحتاج جسده، الجسد، حاله كحال الوزير في لعبة الشطرنج، يناور ويقاتل ويتخلى عن قلاعه وأحصنته وفيّله وجنوده ونفسه فدء للملك/ الحياة. الحياة البائسة المعزولة المهزومة التي ستورثها للأبناء!

لا يمكن إنكار الشعور بالفخر والكبرياء عندما يقدمون لك نماذج مثل الخنساء وخولة بنت الأزور.. ولكن ماذا عن صرخات الأمهات والأخوات الكثيرات، وحسرات الزوجات التي يتردد صداها حولك: لماذا يجب الرجل المعركة أكثر مني؟ ولما تتاديه الحرب فيهرع إليها ويتركني وحيدة؟ ألم ينزل من الجنة لأجل حواء؟

نخرج من البيت بدافع البحث عن مكان ومكانة في العالم، وغالباً ما ننسى لما خرجنا، فتوه في الالتزامات والواجبات ولا نتذكر أنفسنا إلا عند نهاية العمر، أو على أعتاب غياب مفاجئ؛ سجن، هجرة، مرض، قتل، حرب، خطف، اغتصاب! فقدّ الجسد أو التهديد بفقده هو من يذكرنا بأن حياتنا مهدورة من دون طائل!

يوماً ما عندما سترى جنثاً مهشمة ستدرك كم كانت تتوق إلى الحب وكم نكره الحرب! مثلما أفصح جسد «البوعزيزي» وهو يشتعل متمرداً على أنظمة الطغيان، ساخطاً على حكمة طاغاة الرأس وحفظ اللسان.. حين استطاع في لحظة كبرياء تراجيدية مطهرة بالنار أن يعرض علينا صورة كرامتنا الجريحة وذل عيشنا بروج كسيرة وضمير معدّب وحياة بلا أمل. فكان فاتحة موجة «الربيع العربي»، موجة الأجساد الغفيرة الهائلة البسيطة الموجودة على هامش الحياة وفي ظلال الصورة، التي لم يكن لديها لا أفكار كثيرة ولا شعارات ولا مقولات ولا أسلحة

السفير العربي

..حنا بين احتلالين، احتلال المخ واحتلال البلاد
مفيش شك أن الطريق إلى المساواة معقدة
بس مستقبلنا بيبدأ لما نحرر أنفسنا من العبودية العقلية..
مغنية الراب فاديا منصور، من فلسطين



ولا خطط ولا أهداف.. لديها صرخة عارمة: لم نعد نطيق العيش في عالم يشظينا ويمتهن تمزيق كياننا الواحد.
وها نحن نغامر بتقديم تمريننا الأول على بناء الحياة المتجددة لا المؤيدة: عندما تكون بكمال ذواتنا ونجتمع معاً سنعرف كيف نجمع مواردنا ونستثمرها وننتشرها.

التشارك في الحياة

في كل الساحات العربية قدم المنتفضون «بروفاتهم» الفريدة لتنظيم الحياة اليومية ومستلزماتنا، تقاسموا المهام وأوجدوا شرطة وحرساً وأعلاماً ومشافي ومطابخ واحتفالات ومنتديات وخططاً «ساذجة»، لمواجهة عدوان السلطات، استطاع المسلمون أن يصلوا تحت حماية المسيحيين والعكس بالعكس، تمكن ابن الريف من مجادلة بنت المدينة من دون رجل أو وجل، وتشابكت أيديهم في الرقص كما امتزجت أصواتهم في نداء الحرية وركضوا معاً لإسعاف الجرحى ورعاية الأطفال والعناية بنظافة المحيط. كان الناس يتملكون حياتهم لأول مرة، يشغلون فضاءهم بجماع كيانهم الواحد المتحد بالتراضي والتوق إلى الاجتماع الفطري مع الآخرين في حُسن بيتنهم. وهكذا في الزمن الثوري المشحون بالأفكار والمشاعر والإرادة، لا تجد فصلاً بين الفكرة وصاحبها/ أصحابها، بين الشعار وتطبيقه، بين التصور والممكن. بين كل قضايا الحياة اليومية والمصرية ومعالجتها، الحياة هناك كانت برلماناً دائم الانعقاد للنقاش والتصويت والتطبيق والتصويب وبهجة المشاركة. غالباً ما تصاب الكتابة عن لحظات الثورة من دون اختزال، لأن كل كتابة ستكون عاجزة عن ملاحقة زخم العصف الذهني والعاطفي والجسدي، عن تتبع الخلطة العجيبة من الموروث والحداثة، من الحلم والخيال والواقع وسرعة الاستجابة والتجاوب مع معطياتها، مع كيمية الممكنات المتاحة والأخرى التي كانت على وشك الولادة والنمو.. الجسد ليس وسيلة الثورة وفاتحتها ومطلق شراوتها وحسب، هو مغزاها وهدهداه، على اعتباره حاضن الروح والعقل والضمير والوجدان، وعلى اعتبار حياته وسلامه ورفاهيته وإبداعه هو جوهر الحياة وغايتها.

ولهذا يبدو السؤال عن حال الجسد مفتاحياً لمعرفة أحوال البلد وتحولاته ومآلاته. بل ربما أصبح التعميم ممكناً، أن حال الجسد في بلدان «الربيع العربي» بات يكشف أحوال بلدان العالم وتحولاتها ومآلاتها إلى خذلان الضعفاء، برغم أننا سكان «قرية صغيرة» على حد زعم حماة حمى حقوق الإنسان.

ضحى العاشور

كاتبة من سوريا

يوم المرأة العالمي

..الخطوة الأولى بتقول من حقي أن أختار، وأنا ليك علياً اتحمل مسؤولية القرار من حقي اكمل تعليمي لحد ما اكتفي، من حقي أبان للعالم مش عايزة اختفي من حقي اختار شريك مش شريك لعليتي..
مغنية الراب ميام محمود، من مصر

«أوجاع نسا»

عربة السيدات في مترو الأنفاق

تحكي عن زوجها الذي أوصلها بلطف حتى باب العربة، قائلة «والله ما كان كده، بس بعد ما العيال كبرت وكل واحد راح في ناحية والمرض ركه، عرف إنو مالوش غيري وبقي فيه حنية الدنيا»، فتدرد عليها أخرى أصغر سناً: «أنا بقي ضحكة مؤيدة، تتوازي أحاديث الحب الخاطفة على السنة قتيات المدارس الثانوية والجامعة، طوال الوقت، مع أحاديث السيدات اللواتي يفكرن بدروس الأطفال وسعر أنبوبة البوتغاز والطريقة المثلى لحشو الكوسى (غالياً بعد جليلة يثيرها مرور بائع جائل باختراع جديد بسيط يعفيهن، حسب دعاتيه، من «غلبة المحشي»)، ولأنه لم يعد هناك من مكان لم تخترقه السياسة، فغالياً ما تبدو الأصوات الخارجة من عربة السيدات مع اقترابها من أي محطة مضحكة، وقد نشبت داخلها مشادات تاتي جميعها على شكل صوت رفيع حاد، دائماً ما يلقطله الرجال على الرصيف بالضحك والسخرة.. سخرية لا يعرف إن كانت من حالمهن أم من حال البلد بأكمله.

وعلى المنوال نفسه تتشكل ذاكرة الباعة الجائلين، وأغلبهم من الصبية الصغار، فهم حاملو أسرار النساء بامتياز: يمرزون ببضاعتهم من شرق العربة إلى غربها ضامنين دائماً وجود مشتر (فالنساء لا توجد قوة تمنعهن عن متعة الشراء مهما كانت أحوالهن)، ومن ثم يجد هؤلاء الفرصة للاستماع لعشرات القصص يومياً، واختزانها للتندر آخر الليل مع أصدقائهم بعد يوم مرهق طويل من العمل.

فيلتأثر من يتأثر، وليسخر من يسخر.. من فيهم؟ إنهن النساء ملكات نواصي الحكى والحديث، وهالك، أسفل الأرض، في هذه المساحة الضيقة التي لا تزيد عن الـ50 متراً مربعاً يجدن فرصة للتخفف من ثقل ما، تخرج مرة بالضحكة وأخرى بالدمعة، ومزات أكثر على شكل حديث عادي متكرر، ولكنه يسمح لهن باستقبال الهواء والحياة في كل مرة وهن أكثر خفة.. ولو قليلاً.

الرحلة اليوم كانت داخل مكان يمكنك أن تفتحه بالحيادي أو الشامل، بينما تبقى ميزته الرئيسية أنه مكان غير ثابت، ومعه يصبح الحديث غير مشروط، ما دامت صاحبة لن تواجه المستمعات ثانياً.

منى سليم

صحافية من مصر

بالمحطات الكبرى في منتصف العاصمة، وأثناء توجهه إلى الأطراف شرقاً وغرباً، ومع اقتراب الغيب، تبدأ الصدور بالتنفذ ويخرج حديث «التباريح».

تجلس سيدة صغيرة وأمامها عربة أطفال في داخلها طفلة صغيرة يبدو عليها الإرهاق، ومن هاتفا تكرر طوال الرحلة أغنية شعبية حزينة «الدنيا ماشية بضرها داست عليا»، تتبادل مجموعة من النساء النظر إليها بصمت، بينما تتحرك شابة صغيرة يبدو عليها حسن الحال معيشياً لتخرج من حقيبتها قطعة بسكويت للطفلة، تشكرها الأم بامتنان زائد، وعندما تشجع إحدى السيدات (متوسطة العمر والحال) وتسألها عن سر هذا الحزن، فتدرد الأم الصغيرة: وإيه في الدنيا ما يتعيش بس».

وتبدأ الحكى عن مسألة صغيرة يتعاش بها ومع غيرها آلاف الأسر خلف المنازل المغلقة. حكّت عن موت زوجها شاباً بمرض مفاجئ في الصدر، جاء غالباً نتيجة عمله في مصنع سبي السممة البيئية، وتلا موته حصار تام من أسرته عليها كشرط لبقائها مع أولادها الثلاثة، تتحدث كيف أصبحت طوال الوقت بموقف التهمة، الخائنة المحتملة لرجل ميت، والتهديد المفتوح بسحب الأطفال من حضنها، لم تتدارك دمعها وهي تنظر إلى طفلتها الصغيرة «وهو حد منهم يقدر ياخد باله منها لو أنا اتجوزت، ده المرض الخبيث بياكل جسمها وخلص هتموت».

هنا أوقفناها جدة كبيرة لتوبيخها: «ماتقوليش كده، إدع ربك البت دي هتعيش وتبقى عروسة».

يعود الحضور النسائي إلى تبادل النظرات بصمت، وبعض الأيادي «طبيبك» على الأم الصغيرة ماسحة على رأس ابنتها قبل أن تلتفت الأعين للتوجه إلى السيدة متوسطة العمر التي فتحت الباب لتبادل القصص. تحكي الأخيرة عن قصة حزينة أخرى كان طرفها هذه المرة أسرتهما هي لا أسرة زوجها، بعد أن رفضوا الوقوف إلى جانبها بعد وفاة زوجها خلال سفره إلى الخارج، وكيف مرت بها السنوات سريعاً لتربي أطفالها وقد أصبحوا رجالاً و«فرحة عربين» كما قالت «فرحة عمري وعمر أبوهم اللي اتقصف بدري، ما تخافيش يا أختي وحاولي تعتمدى على نفسك».

قليل من الفرح..

غالياً ما تكون الغلبة للقصص الحزينة، لكن لا تخلو الرحلة من سحب إحداهن لوتر الفرح، فينسج عليه الجميع خاصة إذا تعلق الأمر بالسخرية الأذعة على الرجال وأفعالهم. هذه

حيثما تتواجد النساء وجدهنّ تخرج الأحاديث بطعم خاص. فلكل مكان تأثيره، وهذا الدائر بمحل تصفيف الشعر غير ذاك بعيداً أمراض النساء.. لكن ماذا لو دار الحديث داخل مكان غير مقيم؟ أحدثكم من داخل عربة السيدات بمترو الأنفاق في العاصمة المصرية، القاهرة.

سيدات من كل الأطياف والطبقات، يدخلن ويخرجن بالأسلوب نفسه مهما تفاوتت درجات الحزن والفرح في القلب، ومهما اختلفت خبرات الجسد والروح، فالمترو في مصر هو الوسيلة التي تسمح بتطبيق الاشتراكية بامتياز. الجميع واحد مهما تفاوت مستوى وسائل انتقالهم فوق الأرض، وذلك بسبب الزحام الشديد. يظلون أسفل الأرض - وكأنها طبيعة الحياة - فيصبح الجميع سواسية.

حزب الكنية وأخریات

هنا حيث تجلس الكثيرات منهنّ إلى جوار ثواقف لا تطل إلا على الظلام، بينما تتف مجموعة من الفتيات الصغيرات في منتصف العربة يتحدین الحياة بشبابهنّ ويرفضنّ التمسك ب «الفواصل الحديدية المعلقة». يضحكن ويتبادلن النكات بصوت عال، كأنها فرصة متجددة للانطلاق من دون ملاحظة ذكورية تطل عادة حتى من عيون أمهاتهنّ في البيت.

هنا حيث تذلع ثورة نسائية محدودة عندما يمر عدد من الشباب عتوة، مزاحمين السيدات في هذا المكان الذي حصلن عليه كتمييز إيجابي - من وسط تاريخ طويل من التمييز السلبى - بحميهنّ من الزحام والتحرش بالعربات المشتركة في أوقات الذروة. وكما هو معتاد تصبح الشابات الصغيرات هنّ وقود هذه الثورة السريعة والمحدودة، التي قد تصل إلى حد إيقاف عمل قطار المترو حتى يتم تحرير العربة. ولأنه مجتمع عربي مصغر، فغالياً ما تشتعل خلافات فكرية واسعة في قلب هذه الثورة وعلى أطرافها بين من يقفّن في المواجهة عند الأبواب يطردنّ الدخيل وبين أخريات يجلسن على المقاعد («حزب الكنية!») ويطالبنّ المقاومة بالسكوت وعدم تعريض أنفسهنّ للإهانة والألفاظ البذيئة، بل ومهاجمتهنّ أحياناً لأنهنّ «بنات معقدات»، وقد تخرج إحداهن من وراء نقابها لتقول «إنت مش عارفة إن صوتك ده عورة؟».

«تباريح» نسائية

بعد أن يهدأ الزحام قليلاً، وبعد مرور المترو



أساور مريم من ذهب

طلبت أم مريم من جميع من زار البيت إقناع ابنتها بالزواج من العريس المجهول. قالت الخالة: «روحي اخدي في بيتك وزوجك، بملتشي يكون معاكي منيح وتسعدي». تلطم مريم وجهها الأبيض المدور، الذي تتوسطه عينان ذابلتان وكأنها على نفس دائم: «ليش بملتشي؟ ليش بملتشي؟ ليش ما اتزوج واحد يسعدني بدون بملتشي؟ لكن العرسان لا يقفون بالدور. طلقها زوجها بعد عام من الزواج وهي لم تتم عامها الثامن عشر، عادت مع والدها من المستشفى بعد أربع عمليات جراحية في رأسها، لإخراج قطع الخشب والحجارة التي تحطمت على رأسها على إثر الشجار الأخير مع زوجها الأسير السابق، الذي تزوجها بعد خروجه من سجن أقام فيه سبع سنوات، بنهمة ضرب جندي تاه عن مجموعته التي طوقت الحارة لالتقاط

«أوقدي النار يا أمي عندما أموت، فأنا أمقت اللون الأزرق على شفتي. لا تخافي من الوحدة يا أمي، فليدك من الأبناء الكثير، ربما يشفقون عليك من بعدي».

هكذا سكتب مريم لأمها تمام قبل أن تموت، في حال عدم نجاتها من الاقتران برجل متزوج وله أولاد.

جاء خال مريم برجل لم يسمع به أحد من قبل، رجل من قرية بعيدة، وقال لها: «يا مريم سيكون زوجاً صالحاً لك، أنا أعلم بذلك، ومن يدري ربما تهنتين معه».

حكّت مريم أن والدتها المريضة بكل الأمراض تريدها أن تتزوج من هذا الرجل، إذ إن احتمال السعادة وارد مع الزوج المنتظر. وعلى حد قوله إنه هجر زوجته الأولى ولا يعاشرها، لكنها أم أولاده، ولهذا لا يستطيع الطلاق، وهي لن تكون مصدرراً لتعاسفها في أغلب الأحوال.

أزور أمي؟ إيش أسوي..إيش؟

تحلم مريم بالزواج من رجل أرمل، في تقديرها، سيكون أرجم من رجل متزوج. فهاذا لو كانت زوجته الأولى قوية وتصدت لها وحولت حياتها الى جحيم؟

لم تقتنع مريم باحتمالات السعادة أو الهناء التي يعدها بها الجميع، الأم والخال والجارات. فالأم لكي لا يفوت مريم القطار والخال لأن الرجل ميسور ولديه بيت من ثلاث غرف وسيارة وموديل الفين وسبستري لها أساور ذهبية وكأنها بنت بكر. أما الجارات فيتدخلن في كل ما لا يعنينهن، كالعادة.

امتياز دياب

كاتبة من فلسطين

تُهان وتُنتهك؟

المهم ألا تُمسّ عذريتها!

تقول الفتاة: هددوني بتحرير ضبط «فعل فاضح» لي ولخطيبي في الطريق العام عقب توقيفنا في شارع أحمد حلمي عند الساعة مساءً. طلبوا من خطيبي الانصراف، وعرضوا توصيلي إلى المنزل حسب العنوان المكتوب في بطاقتي، رفضت وخفت. قاموا بتهدئتي وأخذوني بالسيارة، أخبروني أننا ستقضي وقتاً لطيفاً، نصف ساعة قبل العودة إلى البيت. قلت لهم إن ذلك غير ممكن فانا ما زلت بكرًا. رد علي أحدهما بأنه يعلم أنني أنسة وطالبة جامعية وطماقتي أنه لن يقرب من عذريتي! أرسلت رسالة هاتفية لخطيبي أبلغه فيها بمكاني، اعتديا علي وأنا صرخت وبكيت ونزفت من أنفي».

ما سبق ملخص سريع لرواية «فتاة الساحل»، كما اشتهرت إعلامياً، التي سردتها الشابة على شاشة إحدى القنوات التلفزيونية المصرية، بعد أن قامت بخطوة جريئة إذ رفعت دعوى على الشرطيين اللذين اعتديا عليها داخل سيارة الشرطة في منطقة ترعة البولاقية، وقعت الحادثة في الشهر الأخير من العام 2014. أكد الطب الشرعي أن عينات التحليل DNA الخاصة بالشرطيين أثبتت وجود السائل المنوي العائد لهما على ملابس الفتاة. المفاجأة كانت في الإفراج عنهما بكفالة مالية، فالبلنت بقيت «بنتاً» أي عذراء، وهذا بالتالي ليس اغتصاباً!



رسم: ميرا شقير



يوم المرأة العالمي

صلة شرذمة العراق بحقوق النساء

غرق العراق منذ سقوط نظام صدام حسين على يد القوات الأميركية في العام 2003، في موجة عنف ذات بعد طائفي، وفي فوضى سياسية غير مسبوقة. صحيح أن جذور إضعاف الدولة وانهاير المكونات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، تعود (على أقل تقدير) إلى ضربات «التحالف الدولي» بقيادة الأميركيين في العام 1991 والكارثة الإنسانية الناجمة عن الحصار الاقتصادي الذي فرض على الناس، إلا أن العراق لم يكن منتشطا بالمقدار الذي أصبح عليه الآن إلا منذ الغزو الأميركي.

مأسس الأميركيون تلك الحال على قواعد عرقية – طائفية إبان فترة الاحتلال، أرخت بنقلها على كامل المجتمع العراقي، ثم تجسدت في الانقسام الذي طال الأراضي الواقعة جزئيا تحت سيطرة تنظيم «الدولة الإسلامية»، وكذلك في حياة أهالي بغداد الذين يعيشون في أحياء انقسمت بين سنة وشيعة، غير أن أحد معطيات هذا الانقسام، والتي تسقط غالبا من الحساب، هو البعد الجندري.

استلھام النظام اللبثاني!

للمرة الأولى منذ تأسيس الجمهورية العراقية في الرابع عشر من تموز 1958، اقترح الإسلاميون الشيعية المحافظون، خلال اجتماع لمجلس الحكم الانتقالي في كانون الأول 2003، إعادة صياغة قانون الأحوال الشخصية على أساس طائفي، بما يحاكي قانون الأحوال الشخصية اللبثاني. آنذاك، برز هذا الاقتراح عبد العزيز الحكيم، رئيس «المجلس الأعلى» (أحد الأحزاب الإسلامية الشيعية الأساسية)، الذي وصل إلى السلطة مع القوات الأميركية، بكونه ترجمة لحرية الاعتقاد، التي أضمن النظام القديم في قمعه، بحسب رأيه. وتعتبر هذه الخطوة في الواقع مبخاية تأكيد على الطابع الشيعي للهوية العراقية الذي تطالب به مجموعة سياسية عانت من قمع النظام القديم. وهكذا فإن قانون الأحوال الشخصية رقم 188، الذي وضع في العام 1959 ليحكم الشؤون الخاصة (زواج، ميراث، طلاق، إلخ) ومن ضمنها معظم التشريعات المتعلقة بحقوق المرأة، لن يطبق بعد الآن بطريقة موحدة على جميع المواطنين العراقيين، بل سيضاف إليه قانون خاص بالشيعية يحدد الطريق أمام كل طائفة (مجموعة) للمطالبة بقانون خاص بها. في العام 1959، تمت المصادقة على القانون 188 الذي اعتبر من القوانين الأكثر تقدمية في المنطقة بما يخص حقوق المرأة. أتى ذلك كحصلة لجهود الحركة النسوية العراقية، وحراك «رابطة النساء العراقيات» تحديداً،

ومن وجوها نزيهة الدلمي، المناضلة الشيوعية البارزة وأول وزيرة عربية (في 1959) التي شاركت في صياغته.

المساواة في الميراث

كان قانون الأحوال الشخصية يضمن المساواة في الميراث، وهو ما كان (ولا يزال) عاملاً فريداً في قانون أسهم بوضعه مع السلطات العراقية علماء سنة وشيعة. لقد ولدت الجمهورية العراقية الأولى برئاسة عبد الكريم القاسم في مناخ كانت فيه الثقافة السياسية المهيمنة هي تلك اليسارية المعادية للإمبريالية، وتحديداً تأثير الحزب الشيوعي، حيث كانت منظماته النسائية ناشطة جداً.

وعليه، فقد أتى وضع قانون جديد لأحوال الشخصية ليمارس قطعية مع هذا الإرث التقدمي والفوري والمعادي للرأسمالية الذي قُدم للناس عبر قانون الأحوال الشخصية.

لم يدخل اقتراح رئيس المجلس الأعلى في العام 2003 حيز التنفيذ، لكنه استعيد في إطار البند 41 من الدستور الذي صودق عليه في العام 2005. ومؤخراً، وعلى هامش الانتخابات البرلمانية، كرّر حزب «الفضيلة» الشيعي مطلب إخضاع قانون الأحوال الشخصية للنقھ المعفري حصراً. وهذا النقھ يسمح، من ضمن أشياء أخرى، بزواج الفتيات بدءا من سن التاسعة، باعتباره سن البلوغ.

استنكرت النساء العراقيات المدافعات عن حقوق المرأة، والمنضويات في «شبكة النساء العراقيات»، هذا الطرح الذي يضع قانون الأحوال الشخصية موضع تساؤل من قبل أحزاب جميعها محافظ وطائفي. واعتبرت النساء أن القانون القديم، ورغم نواقصه – إذ تمّ «إصلاحه» باتجاه تراجي في عهد صدام حسين في عقد التسعينيات من القرن الفائت – فهو يحمي وحدة العراقيين في إطار الحقوق الشخصية، ولا سيما بما يخص الزوجات المختلطة طائفيًا. ليس هذا فحسب، بل هو يضمن مقاربة تقدمية نسبيا لحقوق المرأة. كما سددت المدافعات العراقيات عن حقوق المرأة بهيمنة الأجواء الاجتماعية والدينية المحافظة على المجتمع العراقي حالياً. وهذه كانت قد تصاعدت مع الحملة الإيمانية التي أطلقها نظام صدام حسين في التسعينيات، وبلغت ذروتها بعد العام 2003 الذي شهد وصول الأحزاب الإسلامية المتشددة إلى السلطة. ومؤخراً، وتأكيداً على ضرورة الحفاظ على الزواج المدني، أطلقت «جمعية نساء بغداد» حملة لمواجهة الزوجات التي تتم خارج إطار المحكمة، والتي تُعرف بـ «زواج السيد»، وهي الزوجات التي يعقدها رجل دين، ولا تنفك تتزايد منذ العام 2003. وتضع هذه الزوجات الشابات أمام نظام حقوق مقيد للغاية وغير شرعي وفق

القانون العراقي. وتفضح الجمعية تزايد حالات «زواج السيد» لفتيات تتراوح أعمارهن بين 12 و 13 عاماً ، لا سيما في الأوساط الفقيرة.

وهكذا، فإن تشرذم هوية العراق وأرضه على أسس عرقية وطائفية، علاوة على ما يسببه من فوضى أمنية، له أثر كبير وحقيقي على حقوق النساء. في وقت تظهر الحكومات العراقية المتعاقبة منذ العام 2003، وهي المتوافق على فسادها وانعدام كفاءتها عجزاً عن الاستجابة لحاجات العراقيين الجوهرية: الأمن والوصول إلى مياه الشفة والكهرباء والسكن اللائق.

التمثيل بدل الحقوق

تقع على عاتق طائفة الحكومة المركزية، وعجزها عن تلبية حاجات مختلف مكونات المجتمع العراقي على قاعدة المساواة، فضلاً عن قمعهما للحراك السني الذي قام غرب البلاد، المسؤولية الأكبر عن الأزمة السياسية والعسكرية التي تشهدها حاليا البلاد.

علاوة على ذلك، فإن عسكرة المجتمع العراقي (التي يعود تاريخها إلى منتصف الثمانينيات)، مصحوبة بتمجيد الصورة الذكورية للعسكري، والتي بلغت ذروتها مع اجتياح تنظيم «داعش» لشمال البلاد، أدت إلى انتشار مفهوم عادي للعنف، وإلى إعادة تكوين العلاقات الجندرية التي باتت تحكمها ضرورات الأمن لا العدالة في المساواة بين الجنسين.

أجمع الأميركيون، ومعهم الأمم المتحدة وشبكات «الجمعيات غير الحكومية»، والنخبة السياسية الجديدة من الأكراد والشيعية التي وصلت إلى السلطة في العام 2003، على أهمية وجود المرأة ومشاركتها السياسية في السلطة. وعليه، تم في العام 2005 تبني الكوتا النسائية في المجالس التمثيلية بنسبة 25 في المئة (30 في المئة في كردستان).

الحضور السياسي للمرأة، ومعظمه تم عبر البرلمان العراقي من خلال تمثيل الأحزاب الاكثر محافظة وطائفية، منحت الإدارة الأميركية والأحزاب السياسية والجمعيات غير الحكومية التي كانت حاضرة في الفترات الأولى للاحتلال، نوعاً من راحة الضمير. أما بالنسبة للنساء العراقيات، فيبدو أنه قد قُضِلَ لهن منذ 2003 «الظهور» على حق المساواة، والمشاركة، السياسية (في الفوضى) على تحصيل الحقوق.

زهرة علي
باحثة من العراق

ورثى المحارم والأمراض.. بينما القضية من قضايا الصحة العامة، فعدد عمليات الإجهاض في الغرب يتراوح بين 600 و800 عملية يومياً، منها ما يتم بالمسحات خلسة، ومنها ما يتم في البيوت بطرق بدائية..

العنف المجتمعي ولوم الضحية

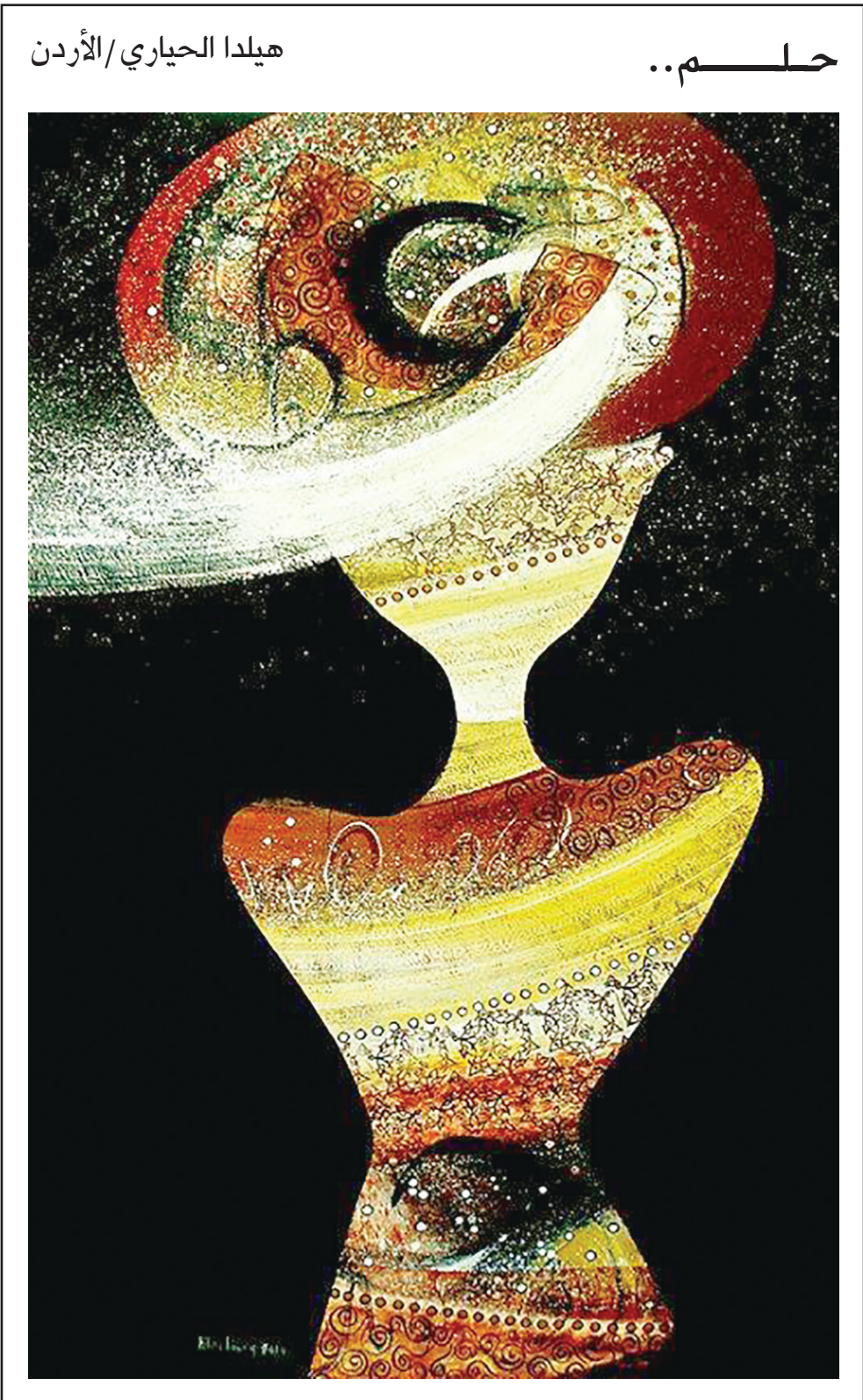
هدير المهدي
صحافية وباحثة، من مصر
.. في حادثة نحر الاقباط المصريين في ليبيا على يد تنظيم الدولة الإسلامية، ورغم هول الكارثة التي أثارَت حزنًا وغضبا شديدين في مصر، برز السؤال الجليد إياه:» إيه اللي وداهم هناك؟». وهو ينبع عن تحميل الضحية المسؤولية عن قتلها، حتى وإن كان في سياق الشعور

..إسمك سياسي ناسي انو أنا اسمي مواطن

مشاهد نفسك بالكروسي وتحب تلبس التاج

عقلك المتخلف ما ينفضش فيتنا، تخرج سلاحك وبنفسك تخوفنا..

مغنية الرب «شيماء»، من تونس



بالأسى أكثر منه بالشماتة.. وكذلك هي ردة الفعل إزاء التحرش بالفتيات أو حتى الاغتصاب..

تونس الخضراء عطشى

حفاوة ريحي
صحافية، من تونس
تبدو تقارير علماء البيئة حول الماء في تونس متجهمه. إذ تتوقع الأمم المتحدة أن تعاني تونس في أفق سنة 2025 من نقص حاد في المياه والأي فيي المخزون المائي باحتياجات البلاد من المياه الصالحة للشرب. حتى أن خضرة تونس في خريطة الدراسة الأممية استحالَت إلى اللون الأحمر في دلالة على خطورة الوضع ودقته.

أسطورة الذمة المالية المستقلة

إنثابت القولة المكررة «الإسلام كَرَم المرأة»، بدلالة أنه جعل لها ذمة مالية مستقلة، لا يستقيم إلاّ باعتراف مرددي الشعر بأن العمل حق وواجب على المرأة غير مرتبط بموافقة زوج أو أب. فنبعا للمقولة، لا يجوز للرجل الاعتداء على الذمة المالية لزوجته أو الاستئلاء على مالها الخاص، من دون تفسير لجواز حرمانها من حقها في العمل الذي يفترض أنه منبت ذمة نسائية بهذا الحق طالا هي لا تمتلك أجر هذه الذمة المالية أصلا. يستتبع ذلك التساؤل عما إذا كان «حق الذمة المالية المستقلة» هذا يرتبط طبiquا بالنسوة اللاتي تحصلن على إرث من أسرتهن. كما يشترط الاعتراف بأن حق للمرأة أن يكون قد ورد عنه نص ديني ثابت، وكأما الأصل في الأشياء هو الحرمان من الحقوق. ويمتد ذلك إلى فتوى جرى الاحتفاء بها على نطاق واسع باعتبارها دليلا على روح تحررية، وهي التي تنفي واجب المرأة بالعمل المنزلي في بيت الزوجية، وتفرض على الرجل استخدام خادمة لقضاء تلك الأعمال. فكيف تنتج المرأة الفقيرة بهذا الحق طالا هي لا تمتلك أجر هذه الخادمة، بل وكيف تتمتّع تلك الخادمة نفسها بهذا الحق في بيتها.. الحقيقة أن هناك جانب محذوف ضمنا من الفتوى – ربما لأنه يبدو بديها للبعض – مفاده أن الرجل ليس مطالبا بأن يقوم بأمن نفسه، وأن «امرأة ما» ستؤتلى عنه شؤونه.. فأيا الخادمة أو الزوجة.

بيسان كساب

كاتبة صحافية متخصصة بالإقتصاد، من مصر
غالباً ما يقال إن الأمومة هي ما يفسر «الطبيعية العاطفية الراقية» للنساء، بعكس الرجال. كما يقال إن المرأة، وبناء على هذه الطبيعة، أكثر قدرة على التضحية من الرجل. تردد النساء التمسّات الجبريات على التضحيات المتواصلة مثل هذه الزاعم، اعتقادا منهن أن ثمة تعويضاً خاصاً في اعتراف الجميع بنفوقهن الأخلاقي. لكن ذلك يؤدي إلى تأييد هذه الحال، فلا يعود هناك مجال للمطالبة بأي تحسن في أوضاعهن الأسرية، بل يرسخ الاعتقاد بأن أفعال الرجال «الدينية»، تستند إلى أسباب فطرية لا اجتماعية. ففي حال كان الرجال فعلا أنانيين ويميلون لتعدد العلاقات النسائية «بحكم طبيعتهم»، فأي مطلب يمكن أن ترفعه الحركة النسوية بتقييد تعدد الزوجات أو

المناطق، تبدو المعاناة أشد والصورة أكثر قتامة. فعلى سبيل المثال، يسبب الافتقاد إلى حمام خاص بكل أسرة واستخدام حمامات مشتركة مع الجيران، صعوبات كبيرة أمام السكان بوجه عام والنساء بوجه خاص..

ما سقف المطالب النسوية في المغرب؟

فاطمة الزهراء البرنيسي
باحثة في علم الاجتماع السياسي، من المغرب

النقاش الدائر اليوم حول تقنين عمليات الإجهاض ليس جديداً في المغرب. فالجتمـع المدني يطالب الحكومة منذ سنوات بالتراجع عن المنع المطلق والعقوبات الجنائية التي تهدد النساء اللواتي يلجأن إلى الإجهاض «وكل من مارسه ومن لم يعلم عنه»، ولا يستثني القانون حالات الاغتصاب

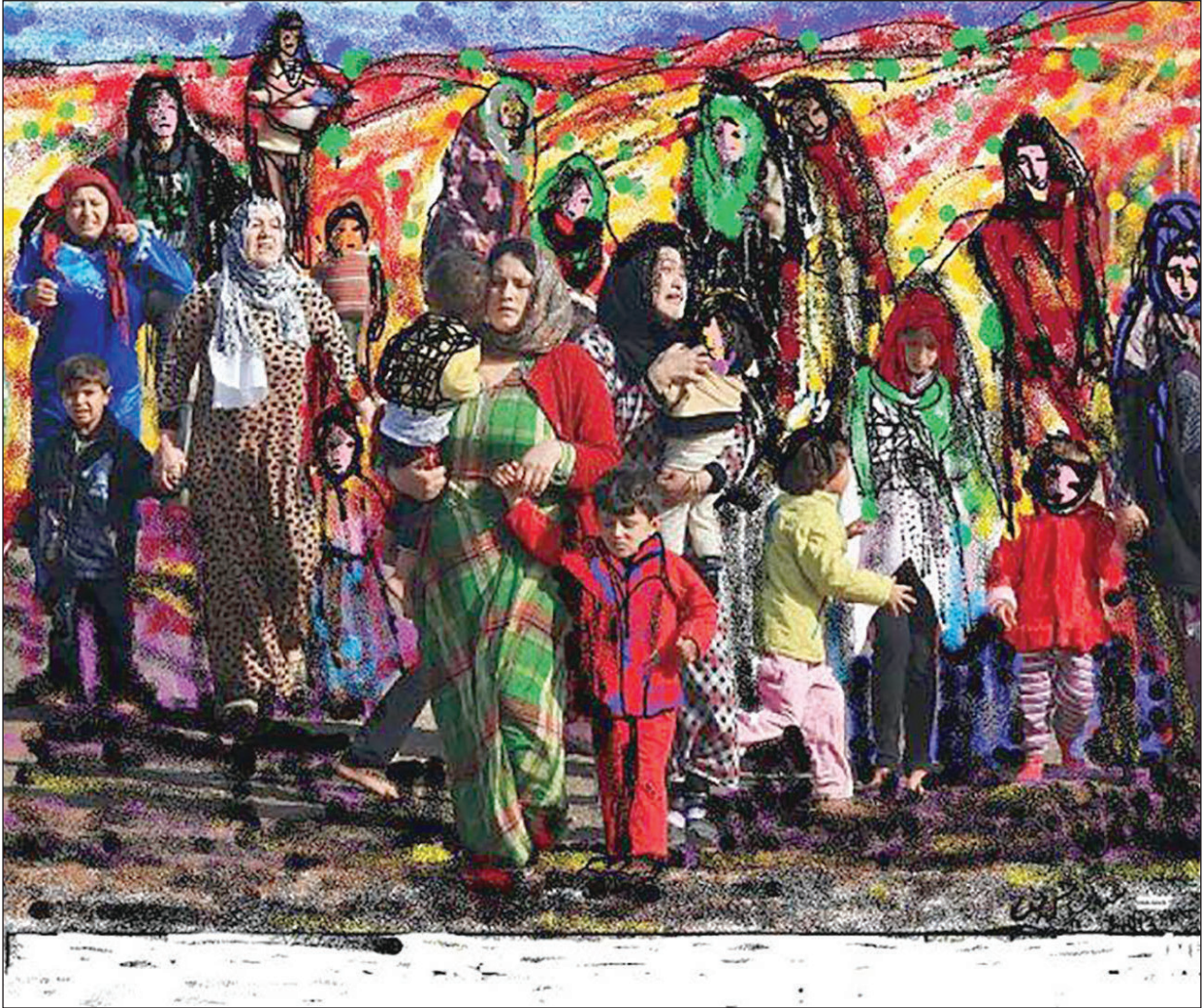
للشغل (...) الذي يمتلك إرثاً واسعاً من النضالات الاجتماعية التراكمية، وتراثاً مشكلاً للذاكرة الجماعية يؤسس لشريعته، هو اليوم على مفترق طرق: يمكنه إدارة تحدياته الداخلية والاستمرار في الدفاع عن مكانته في الظرف السياسي والاقتصادي المستجد بشرط أن ينجح في تجديد نفسه وإعادة موضعة العدالة الاجتماعية في صميم المشروع السياسي التحرري الذي يدافع عنه.

نساء العشوائيات: وجوه متعددة للمعاناة

منى علام
كاتبة وصحافية، من مصر

.. نصف المصريين، أي حوالي 45 مليون نسمة، يعيشون في العشوائيات. وبالتركيز على أوضاع النساء في هذه

في هجاء الأم المثالية!



عتاب حريب - سوريا